نقد الشعر في شروح الشناقطة للشعر العربي القديم

"كتاب عقل الشوارد في شرح ما جاء في طرة ابن بونَ من الأبيات الشواهد للعلامة محمد بن أحمد بن الغزالي ت1360هـ (نموذجا)"

أحمد أبو بكر الإمام
مدرسة الدكتوراه: النص والمناهج
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة نواكشوط العصرية

مقدمة:

فرضت كتب شرح الشواهد منذ شرح أبي جعفر النحاس (ت338هـ) لأبيات سيبويه إلى شرح عبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093هـ) لشواهد الكافية (الخزانة)..

فرضت هذه الكتب على المؤلفين – فيما بعد – الرجوع إليها للاستفادة منها ومنهم محمد بن أحمد بن الغزالي الشقراوي (ت1360هـ)، وهو مؤلف كتاب "عقل الشوارد في شرح ما جاء في طرة ابن بون من الأبيات الشواهد"، الكتاب الذي لا يمكن فصله عن سياقه العام المشار إليه لكن له سياقا خاصا نرجح أن له أكبر الأثر في تأليفه.

فـ"الطرّة" عنوان اشتهر به كتاب سماه مؤلفه المختار بن بون (ت1220هـ): "الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة"، وقد حظي بشروح وافرة ومتنوعة من العلماء الشناقطة فتشعبت اختصاصاتها، حتى اختصّ بعضها بمفاهيم ومصطلحات الطرة، مثل كتاب "روض الحرون من طرة ابن بون" لعبد الودود بن عبد الله الحيبلّي (ت1268هـ)، واختص بعضها الآخر بغوامض الطرة وشواهدها من الأحاديث والآثار، مثل كتابي: العين الثرّة فيما يخفى من الطرة وإنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحو من الأخبار والآثار، وكلاهما من تأليف محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي المتوفى سنة (1323هـ)[1].

هذه الشروح وغيرها كشرح الاحمرار للأمين بن أحمد بن الغزالي (ت؟) الشقيق الأكبر لمؤلف كتاب عقل الشوارد[2]، ربما جعلته يحس بندرة التأليف في شواهد النحو الشعرية لدى

---

[1]– د. يحيى بن البراء، ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية، 1982م، ص (70، 72).

[2]– نفسه ص 104.

الشناقطة فانبرى يحاول سد ذلك الفراغ مستعينا بكثير من المؤلفات، ومن المؤكد أنه تأثر بما فيها من آراء نقدية قبولا أو رفضا وهو ما سنحاول رصد عينات منه في النقاط التالية:

1- أنماط النقد في كتاب عقل الشوارد:

يلزمنا التنبيه هنا إلى أن طبيعة الكتاب ستفرض علينا توسيع مفهوم النقد والعودة به إلى عهوده الأولى، حيث يمكننا أن نميز -على الرغم من التداخل - تمييزا إجرائيا بين ثلاثة أنماط من النقد الأدبي في هذا الكتاب، هي: النقد اللغوي (المعجمي والصرفي والنحوي والبلاغي)، والنقد الانطباعي والديني، ونقد رواية الشعر.

وهذا التقسيم والتسمية مستلهمان من قراءة الكتاب لا من المصطلحات القارة للنقد الأدبي الحديث والمعاصر، وعلى الرغم من قوة التقليد لدى المؤلف ممثلا في كثرة النقل عن السابقين سنلاحظ الكثير من التحري والتدقيق، وسيكون النصيب الأكبر هنا لنقد رواية الشعر لأن المؤلف أولاها من العناية ما لم يوله لأي نمط آخر لكن بعد المرور بأمثلة يسيرة من الأنماط النقدية الأخرى المشار إليها آنفا:

1. 2- النقد المعجمي: ونعني به التمييز الدقيق بين الدلالة المعجمية لبعض الألفاظ التي قد نظنها مترادفة لتقارب معانيها، مثل ما ورد في شرح بيت شاهد لورقة بن نوفل حيث أدى إلى الاستطراد في ذكر قصيدة البيت وشرح بعض أبياتها ومنها هذا البيت:

ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا[1]

فقد قال المؤلف في شرح هذا البيت: "وقوله: ضياء نور قال السهيلي: الضياء والنور غيران فإن النور هو الأصل والضياء منتشر عنه بدليل: {فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ} [البقرة/ 16]، فعلق الذهاب بالنور لينتفي الضياء بانتفائه بخلاف العكس وفي أسمائه تعالى النور لا الضياء[2]."

ومن اليسير أن نلاحظ هنا حضور الغاية التعليمية المتمثلة في النقل الحرفي للمعلومات التي يرى المؤلف أنها مفيدة دون أن يعلق برفض أو تدقيق من أي نوع، ولعل السبب في ذلك هو أن سياق الآية يحتم الاختلاف الجلي بين كلمتي الضياء والنور وإن كان من اليسير الظن بأنهما مترادفتان.

---

[1]- غسان عزيز حسين، ورقة بن نوفل مبشر الرسول: عصره - حياته - شعره، جمع وتحقيق وشرح ودراسة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1/ 2002م، ص122.

[2]- أحمد أبو بكر الإمام، دراسة وتحقيق: كتاب عقل الشوارد في شرح ما جاء في طرة ابن بون من الأبيات الشواهد للعلامة محمد بن أحمد بن الغزالي، أطروحة دكتوراه 2018/ 2019م، ص 382.

وعلى الرغم من ذلك لا يخلو نقل المؤلف من إشارة ضمنية إلى ضرورة التدقيق الجمالي والبلاغي سواء تعلق الأمر بالقراءة والتحليل أو بالاستعمال، فاستخدامنا للكلمات التي قد نظنها مترادفة أو متطابقة في المعنى ربما يوقعنا في الخطأ، بسبب غياب الدقة في الفهم أو التعبير إن لم نقم بالتحري اللازم.

1. 3- النقد الصرفي: ونقصد به التمييز الدقيق – أيضا – بين الدلالات البلاغية للصيغ الصرفية مثل ما ورد في شرح بيت النابغة الذبياني:

أنَّا اقتسمنا خُطَّتينا بيننا فحملتُ برَّة واحتملتَ فَجارِ[1]

وهو بيت يستشهد به النحاة على أن برّة علم جنس للبرّ وفَجارِ علم جنس للفجرة بمعنى الفجور وأثناء الشرح قال المؤلف: "وقال في البرّ حَمَلتُ وفي الفجور احْتَملتَ، لأن العرب إذا استعملت فعل وافتعل بزيادة التاء كان الذي لا زيادة فيه يصلح للقليل والكثير، والذي فيه الزيادة للكثير خاصة نحو قدر واقتدر وكسب واكتسب فأراد أن يهجوه بكثرة غدره وإيثاره للفجور، فذكر اللفظة التي يراد بها الكثير ليكون أبلغ في الهجو ولو قال: حملت فجار لأمكن أن لا يكون غدر إلا مرة واحدة[2]."

لم يصرح المؤلف هنا بالنقل عن أي مصدر كما فعل في المثال السابق فلعله اعتمد فيما ذكره على ملكته النقدية التي اكتسبها من معارفه اللغوية، فالقاعدة الصرفية العامة تقول إن كل زيادة في الكلمة تؤدي إلى تغيير أو زيادة في المعنى، وهذا يقتضي وجود فرق بين حمل واحتمل، كما يؤكد التنبيه الضمني الوارد في المثال السابق فالتدقيق في فهم التعابير اللغوية أو استخدامها أمر توجبه طبيعة اللغة ذاتها.

1. 4- النقد النحوي: ونقصد به تفضيل احتمال إعرابي على آخر لكونه أبلغ وأدق تعبيرا عن المعنى المقصود كما في شرح البيت التالي:

منْ صدَّ عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براحُ[3]

وهو بيت يستشهد به النحاة على أن "لا" تعمل عمل ليس فكلمة "براح" اسمها وخبرها محذوف تقديره لِي، لكن المؤلف ذكر احتمالا آخر للإعراب وفضّله فقال: "وجملة لا براح لي حال

---

[1]- النابغة الذبياني: الديوان بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2 (د. ت) ص55.

[2]- أحمد أبو بكر الإمام، ص (395، 396) م س.

[3]- عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4/ 1997م ج1 ص467 م س.

مؤكدة لقوله أنا ابن قيس، كأنه قال أنا ابن قيس ثابتا في الحرب وإتيان الحال بعد أنا فلان كثير كقوله: أنا ابن دارة معروفا بها نسبي، ويجوز نصب ابن قيس على الاختصاص فيتعين جعل جملة لا براح لي خبرا لأنا وهو أفخر وأمدح[1]."

تكمن قوة الملكة النقدية لدى المؤلف هنا في تفضيله إعراب جملة "لا براح" خبرا على إعرابها حالا، لأن مقام الفخر في الحرب يقتضي من الشاعر أن لا يفخر إلا بما يناسب ذلك، وهو عدم التزحزح من مكانه المعبر عنه بجملة "لا براح" ذات الخبر المحذوف "لي" للدلالة على نفور الشاعر من نسبة البراح إليه ولو في سياق النفي، أما الاحتمال الإعرابي الآخر الذي يعتبر كلمة "ابن" خبرا عن المبتدأ "أنا" فهو ضعيف من الناحية البلاغية وإن كان مقبولا من الناحية النحوية، لأن إخبار الشاعر بأنه ابن قيس لا يضيف قيمة كبيرة إلى معنى الفخر الذي يقصده، بل نصب كلمة "ابن" على الاختصاص هو الأقوى والأبلغ لسمو المعنى فيه، والاعتراض بجملة الاختصاص (أعني ابن قيس أو أخص)، يضفي على المعنى من الفخامة والجمال ما لا نجده في الإعراب الآخر، وما دام هذا المعنى هو الأكثر بلاغة فالأفضل توجيه إعراب الجملة انطلاقا منه كما أكد المؤلف.

1. 5- النقد البلاغي: ونقصد به توظيف المؤلف للمصطلحات البلاغية في شرحه لبعض الأبيات إمعانا منه في التوضيح كقوله في شرح بيت طرفة:

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطِّراف الممدَّد[2]

وهو شاهد على إمكان الجمع بين "ها" التنبيه وكاف الخطاب التي تلحق أسماء الإشارة وخاصة "ذا" التي ليس من الشائع اجتماع الاثنين فيها، وقد بالغ المؤلف في توضيح معنى البيت فصرح بأن عبارة "بني غبراء" كناية عن الفقراء وعبارة "أهل الطراف الممدد" كناية عن الأغنياء[3] فوظف مصطلحات البلاغة في الشرح.

ويؤكد عدم وقوف المؤلف عند الكنايتين لتوضيح دلالتهما على المعنى وسر الجمال فيهما أن غايته الأولى من شرح الشواهد الشعرية، هي غاية لغوية نحوية أو صرفية خالصة وليست غاية نقدية فنية، بل صعوبة معاني الأبيات وما تقتضيه من استطراد أحيانا في الشرح هي التي تفرض

---

[1]- أحمد أبو بكر الإمام ص569 م س.

[2]- طرفة بن العبد: الديوان بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، إدارة الثقافة والفنون – دولة البحرين، المؤسسة العربية، بيروت – لبنان، ط2/ 2000م ص45.

[3]- أحمد أبو بكر الإمام ص401 م س.

عليه التطرق إلى قضايا نقدية وبلاغية، وهذا ما لم يحصل للمؤلف عند شرحه لهذا البيت، لأن محل الاستشهاد فيه لم يكن على درجة كبيرة من التعقيد بل كان في غاية البساطة.

2- النقد الانطباعي والديني:

ونقصد بالانطباعي إصدار الحكم النقدي العام الذي يعبر عن استحسان أو استهجان دون ذكر مسوغات قائمة على أسس فنية واضحة، كما نقصد بالديني الحكم النقدي الصادر على أساس الدين من غير مراعاة للقيم الفنية المعروفة عند النقاد.

ويمكن الجمع بين الاثنين طلبا للاختصار في القول الذي نقله المؤلف عن أبي عمرو الشيباني:" لولا أن أبا نواس أفسد بهذه الأقذار – يعني وصفه للخمر – لاحتججنا به لأنه محكم القول لا يخطئ[1]."

إن عدم احتجاج الشيباني بشعر أبي نواس لم يكن له أساس إلا وصفه للخمر ومجالس شربها وكل ذلك مخالف للدين، وما دام منافيا للدين فالواجب ترك الاحتجاج به لا لأنه غير صالح بذاته لذلك، بل لأنه يحمل دعوات ضمنية إلى مخالفات شرعية فيها استهتار بالدين وذلك كاف لرفض الاستدلال به.

أما كون أبي نواس محكم القول لا يخطئ فهو حكم نقدي انطباعي يتضمن الإقرار لشعره بالتفوق المطلق من غير برهنة ولو بمثال واحد.

وليست هذه هي كل الأنماط النقدية الواردة في كتاب عقل الشوارد بل لعل أهمها على الإطلاق نقده لرواية الشعر فكيف كان هذا النمط من النقد في الكتاب؟

3- نقد رواية الشعر في كتاب عقل الشوارد:

تتجلى أهمية نقد رواية الشعر عند مؤلف كتاب عقل الشوارد في كونها شغلت الحيز الأكبر من المقدمة التي مثلت الجانب النظري في الكتاب، فقد أكد فيها أن رواية الشواهد الشعرية تكتنفها صعوبات كثيرة، منها تشتت النصوص في المؤلفات وكثرة التصحيف فيها، ومنها إهمال كثير من المؤلفين واكتفاؤهم بما وقع في أيديهم من معلومات عنها دون تمحيص أو تدقيق.

وصحة رواية البيت الشاهد هي التي تجعل القاعدة اللغوية المبنية على أساسه قابلة للتسليم بها وتعميمها على بقية التراكيب المماثلة، كما أن التأكد من صحة نسبة البيت لصاحبه يمكن من الحكم بقابليته للاستشهاد أو عدمها، لأنه إما أن يكون من شعراء عصر الاستشهاد وهم الشعراء المتقدمون على منتصف القرن الثاني الهجري، وإما أن يكون من المتأخرين عن ذلك التاريخ فلا يستشهد بشعره.

---

[1]– أحمد أبو بكر الإمام ص313 م س.

يضاف إلى هذا أن المعنى الدقيق للبيت الشاهد يصعب ضبطه أحيانا ما لم يوضع في سياقه من القصيدة التي ينتمي إليها[1]، وهنا تتعدد أوجه نقد الرواية في الشعر لدى المؤلف ولعل أهمها ما يتعلق بألفاظ البيت نفسه أو بنسبته إلى قائله كما سنوضح في التفصيل الآتي:

3. 1- نقد رواية الألفاظ: إذا لم تثبت رواية البيت باللفظ الذي هو محل الاستشهاد فإن ذلك سيؤدي إلى نسف الاستشهاد من أساسه، لأن ثبوت التصحيف أو التحريف فيه يمنع من الاستشهاد به مثل الاحتمال الذي صرح المؤلف بإمكان وجوده في البيت الذي أنشده سيبويه هكذا:

ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننا فقلت لهم هذا لها ها وذا ليا[2]

وهو شاهد على أن الفصل بين "هَا" التنبيه واسم الإشارة "ذا" بالواو قليل لكن المؤلف شكك في إمكان الاستشهاد بالبيت ضمنا لوجوده برواية أخرى مخالفة، يبدو أنها الوحيدة التي أمكنه الوقوف عليها بعد البحث في عدد من المجاميع ودواوين الشعر، فقد قال: "وقد وجدت بيتا يشبهه في قصيدة لمجنون بني عامر تزيد على عشرين بيتا ولا أدري هل هو بيت الشاهد وتصحّف على سيبويه[3]."

ثم ذكر عدة أبيات من القصيدة إمعانا منه في تقوية الاستدلال على احتمال خطأ سيبويه بسبب وقوعه في التصحيف، وها هو البيت الذي ذكره المؤلف باعتباره الرواية الصحيحة المحتملة للبيت الشاهد وقبله بيت آخر من القصيدة:

قضى الله بالمعروف منها لغيرنا وبالشوق والإبعاد منها قضى ليا
قسمت الهوى نصفين بيني وبينها فنصف لها هذا لهذا وذا ليا[4]

وإذا كان خطأ سيبويه في هذا البيت محتملا لا مؤكدا فإن خطأ ابن مالك في إنشاده للبيت التالي مؤكد:

سرينا إليهم في جموع كأنها جبال شرورى لو نعان فننهدا[5]

---

[1]- أحمد أبو بكر الإمام، ص251، م س.

[2]- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب بتحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط3/ 1983م ج2 ص354.

[3]- أحمد أبو بكر الإمام ص410 م س.

[4]- مجنون ليلى: الديوان بتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الناشر: مكتبة مصر (د. ت) ص236.

[5]- أحمد أبو بكر الإمام ص418 م س، وابن مالك: شرح التسهيل، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1/ 1990م ج1 ص 229.

وقد أنشده شاهدا على أن لَوْ المصدرية قد تغني عن فعل التمني فينتصب الفعل بعدها مقترنا بالفاء والأصل وددنا لو نعان فننهدَ وتقدير المصدر وددنا الإعانة.

لكن المؤلف وقف خلال بحثه في المتاح له من الكتب التي يبدو أنها متنوعة على البيت ضمن قصيدة في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير فقال:" وهذا البيت هكذا أنشده ابن مالك والرواية: وذكر المؤلف أن ابن مالك صحف من البيت أربع كلمات هي: دلفنا، أوْ، نِعاف، ثهمد. كما استدرك المؤلف على محمود العيني الذي نسب البيت لمجهول[1] فأكد أنه من قصيدة لأعشى بني همدان وبيّن مناسبتها، وهي اعتذار الشاعر للحجاج بعد أن قبض عليه، ثم استدل بقرينة المقام بعد استدلاله بالرواية على أن مقام الاعتذار لا يسمح للشاعر بتمني العون على الحجاج صراحة وهو واقف بين يديه يعتذر إليه[2].

وهنا ينبغي التنويه بالملكة النقدية الحصيفة لدى المؤلف حيث لم يكتف بوقوفه على الرواية الصحيحة في مصدر تاريخي بعيد كل البعد عن كتب النحو وشروح الشواهد، بل قرر أن مقام الاعتذار يجعل رواية ابن مالك مستحيلة وغير قابلة للتصديق بها على الرغم من التقارب بين الكلمات المصحفة.

وقد يؤكد المؤلف وجود التحريف في رواية البيت مستعينا على صحة الرواية المعتمدة لديه بضعف المعنى في الرواية الأخرى مثل ما حصل له مع بيت جرير الذي يقول فيه مفاخرا خصمه الأخطل:

تركنا الخيل والنعم المفدّى وقلنا للنساء به أقيمي[3]

وهو البيت الذي يستشهد به النحاة على إمكان عود ضمير المفرد المؤنث وهو ياء المخاطبة في فعل الأمر "أقيمي" على الجمع من النساء، وقد قال المؤلف بعد توضيحه لوجه الاستشهاد: "والبيت من قصيدة لجرير هجا بها الأخطل، وافتخر عليه بقوة قومه ومنعهم لبلادهم وأموالهم من العدو، ولكن صدره محرّف جدّا وصوابه: "منعنا الجوف والنعم المندّى" وقبله يخاطب الأخطل:

وأعيينا أباك أبا غويث فأعيا من مجاهدة الخصوم
وأدركنا الهذيل بلافظات دم الأشداق من علك الشكيم
ضغا في القدّ آدر تغلبيٌّ ضبيح الجلد من أثر الكلوم

---

[1]– بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني: المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، تحقيق: د. علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2010م ص1899 م س.

[2]– أحمد أبو بكر الإمام ص419 م س، وابن الأثير ج4 ص217 م س.

[3]– أحمد بن محمد المامي اليعقوبي: تقريب طرة ابن بونا على ألفية ابن مالك، 2006م ص56.

منعنا الجوف والنعم المندّى وقلنا للنساء به أقيمي[1]

ثم قال بعد شرحه للأبيات معللا قوله بأن صدر البيت محرف: "وليت شعري إذا كانت الرواية: تركنا الخيل والنعم المفدّى بم يفتخر بعد ترك الخيل والنعم وقوله للنساء يقمن فيه[2]؟."

فالرواية الأولى تدل على الفرار أمام العدو خوفا منه وهو ما لا يمكن أن يفاخر به الشاعر خصمه على عكس الرواية الثانية التي يستوجبها مقام الفخر، وهل ذلك حجة كافية بالنسبة للمؤلف تغني عن الرد على الرواية برواية أخرى مماثلة أو أقوى؟ لعل عبارة "وصدره محرف" دالة أنه اطلع على الرواية الصحيحة.

وقد يكون الشناقطة أنفسهم مصدر التصحيف أو التحريف في البيت حسب رأي المؤلف كما في المشطور التالي: هنّ صديق للذي لم يشب، وهو مما يستشهد به بعض النحاة على أن لفظ فعيل يمكن الإخبار به عن المبتدأ الجمع دون مطابقة، حيث قال عنه: "وهذا بيت من الرجز لا تعرف له تتمة وزعم بعض تلامذة ابن بون أنه عجز بيت من المتقارب وألحق من نفسه صدرا فقال:

يعادين من شيبه قد بدا وهن صديق الذي لم يشب

وهذا لا أصل له وإن كان هو الموجود في الطرر[3]."

وهنا نلاحظ خروج المؤلف على عادته التي دأب عليها في الاستدلال الموازي دائما لاعتراضاته على المؤلفين السابقين، حيث لم يذكر دليلا يؤكد ما ذهب إليه من إنكار لوجود البيت في الطُّرَر على هذا الشكل، ولعل عدم وجود البيت في الكتب التي اطلع عليها هو دليله الوحيد على أنه من انتحال الشناقطة.

3. 2- نقد رواية النسبة: وقد يكون خطأ المؤلفين في نسبة البيت لا في ألفاظه كما حصل لابن هشام الأنصاري (ت761هـ) مع هذا البيت:

وربما فات قوما جل أمرهمُ من التأنّي وكان الحزمَ لو عجِلوا

---

[1]- أحمد أبو بكر الإمام ص (343، 344) م س، ومحمد إسماعيل عبد الله الصاوي: شرح ديوان جرير، مطبعة الصاوي 1353هـ ص497.

[2]- أحمد أبو بكر الإمام ص344 م س.

[3]- يوجد ما يؤكد قول المؤلف فصدر البيت ليس في بعض الطرر، انظر على سبيل المثال: أحمد بن محمد المامي ص137 م س.

حيث نسبه في مغني اللبيب للأعشى[1] بناء على الظن بأنه من قصيدته: ودع هريرة إن الركب مرتحل..، لكن المؤلف حاول تصحيح هذه النسبة فأكد أنه من قصيدة عدتها واحد وأربعون بيتا للقطامي يمدح فيها عبد الواحد الأموي، ومنها قبل البيت:

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

لكن البيت ليس في ديوان القطامي[2] مع أننا لا نستبعد اطلاعه عليه في نسخة أخرى منه غير متاحة لنا الآن.

وقد يرد المؤلف في شأن نسبة البيت على عدة مؤلفين مستدلا بروايات تاريخية أكثر دقة مثل هذا البيت:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف[3]

وهو البيت الذي يستشهد به النحاة على جواز حذف الخبر إذا تضمنت الجملة قرينة دالة على معناه، مثل كلمة "راض" الدالة في عجز البيت على أن الخبر المحذوف في صدره "راضون"، وقد سمى المؤلف صاحب البيت ومناسبته والقصيدة التي هو منها وذكر ثلاث قصائد مماثلة لها في الوزن والروي، منها ما قيل في المناسبة نفسها كقصيدتي مالك بن العجلان ودرهم بن زيد، ومنها ما قيل بعد المناسبة بفترة كقصيدة قيس بن الخطيم التي سبّبت خطأ عدد من المؤلفين في نسبة البيت إليه.

وقد رد المؤلف عليهم جميعا فقال:"وعرف من إيرادنا لهذه القصائد ما وقع من التخليط للعيني[4] وللعباسي في معاهد التنصيص[5]، فإنهما أوردا البيت الشاهد في شعر قيس بن الخطيم الذي نقلنا ونسباه له كما نسبه له الأعلم الشنتمري[6] وابن هشام اللخمي[1]، والصواب أنه لعمرو بن امرئ القيس نسبه له الخطيب التبريزي[2] وأبو منصور الجواليقي[3] وابن بري[4] والله تعالى أعلم[5]."

---

[1]- ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب، 2003م ص294.

[2]- القطامي: الديوان بتحقيق: د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب،1960م ص25 وليس فيه البيت الشاهد.

[3]- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام بتحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت) ص531.

[4]- العيني ص534 م س.

[5]- العباسي: معاهد التنصيص وبهامشه بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي، (د. م. ن) ج1 ص67.

[6]- الأعلم الشنتمري: تحصيل عين الذهب بتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان 1994م ص (96، 97) م س.

وفي بعض الأحيان لا يكتفي المؤلف في نقده لرواية النسبة برواية أخرى مضادة بل ينظر في مدى الانسجام بين أبيات النص، فيستدل بتنافر معانيها على أنها لا يمكن أن تشكل نسيجا لنص واحد كما في رده على العيني حول نسبة البيت التالي:

فإما كرام موسرون لقيتهم فحسبي من ذي عندهم ما كفانيا[6]

وهو بيت يستشهد به النحاة على إعراب "ذو" الموصولية عند قبيلة طيئ بالحروف كإعراب "ذو" التي بمعنى صاحب، ومعه أبيات أخرى لا بد من ذكرها كلها – هنا – ليتضح عدم تناسبها مع الأبيات التي ضمها العيني إليها:

ولست بهاج في القرى أهل منزل على زادهم أبكي وأبكي البواكيا
فإما كرام موسرون لقيتهم فحسبي من ذي عندهم ما كفانيا
وإما كرام معسرون عذرتهم وإما لئام فادخرت حيائيا
وعرضيَ أبقى ما ادخرت ذخيرة وبطنيَ أطويه كطيّ ردائيا[7]

يقول المؤلف مستعرضا قول العيني قبل الرد عليه: "قال العيني: قائل البيت هو منظور بن سحيم الفقعسي شاعر إسلامي وهو من قصيدة يقولها في امرأته وأولها:

ذهبت إلى الشيطان أخطب بنته فأدخلها من شقوتي في حبالیا
فأنقذني منها حماري وجبّتي جزى الله خيرا جبتي وحماريا
ولست بهاج في القرى أهل منزل..

---

[1]– لا نسبة للبيت في الفوائد المحصورة في شرح المقصورة، تأليف: محمد بن أحمد بن هشام اللخمي، تحقيق: د. أحمد عبد الغفور عطار، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ط1/ 1980م ص230 بل فيها عبارة: "قال الشاعر."

[2]– لا ذكر للأبيات ولا لعمرو في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تأليف: الخطيب التبريزي، تحقيق: غريد الشيخ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1/ 2000م.

[3]– لا ذكر للبيت الشاهد في شرح أدب الكاتب للجواليقي، تحقيق: د. طيبة حمد بودي، جامعة الكويت ط1/ 1995م، وفي صفحته 222 أبيات من قصيدة عمرو بن امرئ القيس.

[4]– عبد الله بن بري: شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي، تحقيق: د. عيد مصطفى درويش، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة 1985م ص127.

[5]– أحمد أبوبكر الإمام ص504 م س.

[6]– أحمد بن محمد المامي ص107 م س.

[7]– التبريزي: شرح الحماسة ص (712، 713) م س، وأبو علي أحمد بن محمد المرزوقي: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام بتحقيق: غريد الشيخ، 2003م ص (813، 814) م س.

إلى آخر الأبيات الأربعة.. قال: وقصته أنه حلق شعر رأس امرأته فرفعته إلى الوالي فجلده واعتقله وكان له حمار وجبّة فدفعهما إلى الوالي فسرحه[1]."

ثم يواصل المؤلف رده على العيني قائلا: ولا يخفى أن هذين البيتين غير مرتبطين بالأبيات الأربعة ولا مناسبة لهما معها وقد ذكر صاحب لسان العرب هذه القصة ونسبها لمصبّح بن منظور الأسدي[2]، قال: "كان مصبّح بن منظور الأسدي حلق شعر رأس امرأته فرفعته إلى الوالي فجلده واعتقله، وكان له حمار وجبّة فدفعهما للوالي فسرّحه فقال:

لقد أشمتت بي أهل فيد وغادرت بجسمي حبرا بنت مصّان باديا
وما فعلت بي ذاك حتى تركتها تقلب رأسا مثل جمعي عاريا
وأفلتني منها حماري وجبتي جزى الله خيرا جبتي وحماريا[3]."

وقد جمع المؤلف في نقده لرواية العيني بين نقد الرواية في الألفاظ ونقد رواية النسبة فلا الأبيات متصلة متناسقة المعاني، ولا الشاعر الذي سماه العيني وصرح أنه قائلها يتفق في الاسم مع الشاعر الذي سماه ابن منظور في معجمه لسان العرب.

وهكذا اتضح لنا أن شعرية شواهد النحو هي التي فرضت على مؤلف كتاب عقل الشوارد أن يتطرق أحيانا إلى قضايا ذات بعد نقدي، فكلما كان البيت الشاهد أعمق معنى كان ذلك أدعى إلى التوسع في شرحه ولو تطلب الاستطراد في قضايا نقدية، وقد حالفه التوفيق في الأغلب حيث كان يستعين في الرد على أقوال المؤلفين بأقوال آخرين أقوى برهانا أو بمنطق الأحداث المشكلة لمجمل مناسبة البيت الشاهد.

ولم يفته الاستدلال الصريح أو العزو الصحيح إلا في حالات نادرة وربما كان السبب في ذلك اعتماده على نسخ أو مصادر قد لا تكون هي المتاحة لنا الآن.

---

[1]- العيني ص (186، 187) م س.

[2]- أحمد أبو بكر الإمام ص436 م س.

[3]- ابن منظور: لسان العرب بتحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، طبعة دار المعارف (د. ت) ص750 م س، وعند شرحه لكلمة "جُمُع" حيث أنشد البيت الثاني أطلق على الشاعر اسم: منظور بن صبح ص680.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير: الكامل في التاريخ بتصحيح: د. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1/ 1987م

أحمد أبو بكر الإمام، دراسة وتحقيق: كتاب عقل الشوارد في شرح ما جاء في طرة ابن بون من الأبيات الشواهد للعلامة محمد بن أحمد بن الغزالي، أطروحة دكتوراه 2018/ 2019م

أحمد بن محمد المامي اليعقوبي: تقريب طرة ابن بونا على ألفية ابن مالك، 2006م

الأعلم الشنتمري: تحصيل عين الذهب بتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان 1994م

البغدادي عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4/ 1997م

التبريزي: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تحقيق: غريد الشيخ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1/ 2000م

الجواليقي: شرح أدب الكاتب تحقيق: د. طيبة حمد بودي، جامعة الكويت ط1/ 1995م

أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام بتحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت)

سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب بتحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط3/ 1983م

طرفة بن العبد: الديوان بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، إدارة الثقافة والفنون – دولة البحرين، المؤسسة العربية، بيروت – لبنان، ط2/ 2000م

العباسي: معاهد التنصيص وبهامشه بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي، (د. م. ن)

عبد الله بن بري: شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي، تحقيق: د. عيد مصطفى درويش، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة 1985م

العيني بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى: المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، تحقيق: د. علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2010م

غسان عزيز حسين: ورقة بن نوفل مبشر الرسول: عصره – حياته – شعره، جمع وتحقيق وشرح ودراسة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1/ 2002م

القطامي: الديوان بتحقيق: د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب،1960م

ابن مالك: شرح التسهيل، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1/ 1990م

مجنون ليلى: الديوان بتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الناشر: مكتبة مصر (د. ت)

محمد بن أحمد بن هشام اللخمي: الفوائد المحصورة في شرح المقصورة، تحقيق: د. أحمد عبد الغفور عطار، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ط1/ 1980م
محمد إسماعيل عبد الله الصاوي: شرح ديوان جرير، مطبعة الصاوي 1353هـ
المرزوقي أبو علي أحمد بن محمد: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام بتحقيق: غريد الشيخ، 2003م
ابن منظور: لسان العرب بتحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، طبعة دار المعارف (د. ت)
النابغة الذبياني: الديوان بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2 (د. ت)
ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب، 2003م
د. يحيى بن البراء، ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية، 1982م